نصيب الزراعة من المجهود الحربى (*)

لقد أتاح لى وجودى فى إجازة اعتيادية بالقاهرة هذا الشهر فرصة زيارة بعض المكتبات للاطلاع ... فوقع بصرى على عدة مجلات أجنبية تتناول المجهود الزراعى الضخم للدول الكبرى المشتركة فى هذه الحرب الطاحنة — وهى انجلترا والولايات المتحدة والروسيا — فآثرت أن يشترك معى بعض الإخوان فى المتعة التى شعرت بها وغمرتنى وأنا أقرأ تلك الصفحات الخالدة من جهود الزراع والمدنيين المتعاونين معهم — من نساء وأطفال — إشادة بهم وعبرة وذكرى .

ويحسن بى — تركيزاً واختزالا لهذا البحث متسع الأفق — أن أحصره فى النقط الآتية :

١ — رأى قادة الفكر وأقطاب السياسة فى الزراعة وأثرها فى المجهود الحربى .

٢ — كيف استطاعت هذه الدول الكبرى الثلاث أن تتغلب على الصعاب الناجمة عن تجنيد جيوش من الزراع والفلاحين للعمل فى خطوط القتال .

٣ — كيف زادت فى هذه الظروف الحربية القاسية — المساحة المزروعة وزاد أيضاً متوسط غلة الفدان وكمية الطعام المستهلكين .

وسيعرض على حضراتكم خلال هذه المحاضرة صور بديعة بألوانها الطبيعية تبين بجلاء مدى هذه المجهود — مناظر صامتة لكنها بليغة فى التعبير وقوية فى البيان .

جاء فى التقرير الجامع الذى وضعه حضرة صاحب السعادة حسين عنان بك

(*) محاضرة لحضرة الزميل المحترم الأستاذ صادق روفائيل مفتش وزارة الزراعة بأسيوط ألقاها بالنادى الزراعى مساء يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤

وكيل وزارة الزراعة ورئيس البعثة المصرية فى مؤتمر الأمم المتحدة للأغذية والزراعة بأمريكا — ورد فى هذا التقرير تصريح حكيم للرئيس روزفلت فى الخطبة التى ألقاها على مندوبى الدول بالبيت الأبيض . إذ قال : (إنكم تناولتم فى بحوثكم الزراعة وهى بين جميع جهود الإنسان تعد الدعامة الأولى . وتناولتم الغذاء وهو بين جميع حاجات الإنسان يعد المطلب الأول . ويعمل فى الزراعة والغذاء ضعف عدد الأشخاص الذين يعملون فى جميع الميادين الأخرى) .

وقال المستر لويد جورج — وهو كما نعلم رئيس الوزارة البريطانية خلال الحرب العالمية الماضية ما نصه :

(The other war was decided by shortages of food)

والمستر لويد جورج يعنى أن نقص الطعام كان عاملا فاصلا فى هزيمة ألمانيا فى الحرب السابقة . ومن أشرف على الخمسين أو جاوزها من أمثالى يذكر أن ألمانيا هزمت وخط هندنبورج الشهير واقع فى قلب بلجيكا . أى فى أرض محتلة مقهورة . ومع ذلك فقد سلم الألمان بالهدنة عقب ثورة جامحة من الشعب الجائع وراء خطوط القتال .

وإذا أشرت إلى الزراعة فى كلامى فإنما أقصد شقيها النباتى والحيوانى وما يتصل بهما من صناعات .

كانت بريطانيا تستورد من الأغذية قبل هذه الحرب ٢/٣ ما يستهلكه سكانها البالغ عددهم حوالى ٤٧ مليون نسمة . والطعام المستورد يعتمد قبل كل شىء على مصادر وبلاد حرة وعلى طرق بحرية مأمونة وقريبة وعلى مراكب متوافرة . فلما نشبت هذه الحرب واحتلت ألمانيا معظم دول أوربا — وهى أكبر وأقرب مصدر لطعام الإنجليز — ثم راحت المراكب الناقلة للأغذية تغرق بالعشرات كل يوم بفعل الغواصات والألغام وأن الحاجة ماسة إلى كل شبر فى المراكب الباقية لنقل الجنود أو ما يلزمهم من معدات القتال . خيال كل هذا رأت

انجلترا ألا مناص لها من الاعتماد على نفسها فى إطعام جيوشها وسكانها . .
ومن ثم قال المستر تشرشل قولته التاريخية الخالدة عقب موقعة دنكرك : —

(We shall fight on beaches, landing grounds, in fields, in streets and on the hills. We shall never surrender.)

ولقد استجاب الشعب الإنجليزى لنداء وتحدى زعيمه الكبير للأعداء . .
فحارب فى جميع الميادين وفى مقدمتها الميدان الزراعى . . . حارب وانتصر فيه إذ زادت مساحة الأرض الزراعية فى بلاده من ١٢ مليون فدان قبل الحرب إلى حوالى عشرين مليونا الآن . وارتفعت غلة الفدان ومتنوع الأطعمة من نباتية وحيوانية نحو ٧٠ ٪ عما كانت عليه . . .

ولكن كيف كان ذلك وما وسائل القوم فى الوصول إلى هذه المعجزة البشرية ؟ . حقا إنها لمعجزة وهم بين قنابل مدمرة وأخرى محرقة وبيوت مهدمة . . ولكى نختصر الطريق نقول إنهم لم يروا أمامهم غير وسيلتين : إحداها زرع الأراضى التى لم تزرع من قبل . والثانية فرض نظام البطاقات الدقيق للاقتصاد فى كمية الطعام ونصيب الفرد منه إلى أقصى حد مستطاع . .

كان موسوليني يفخر بقدرته العجيبة على تجفيف ٢٠٠ ألف فدان من مستنقعات Pontine واستغلالها بالحاصلات فيما بعد . قام بذلك فى بضع سنوات قبل الحرب بزمن طويل . على أن الشعب الإنجليزى — وفى مقدمته الزراع والنساء — جففوا ١٥٠ ألف فدان مماثلة لمستنقعات Pontine فى شتاء واحد من سنى الحرب لا السلام وموقعة بريطانيا فى ذروتها وفى الوقت الذى تهدم أو تصدع من كل خمسة منازل منزل بفعل قنابل الطيارات .

وكانت المساحة المزروعة فى مقاطعتى Sussex & Kent وهما القريبان من بحر المانش — ٢٥٠ ألف فدان فما انتهت سنة ١٩٤٢ حتى بلغت المساحة المزروعة ٣٨٠ ألف فدان . ولقد سقط فى هاتين القاطعتين فى عام واحد ما يزيد على ١٢٠ ألف قنبلة مدمرة أو محرقة تتوالى على الزراع والأهلين من

مدافع هتلر الضخمة بعيدة المرمى المنصوبة على الجانب الآخر من بحر المانش — على ساحل فرنسا — ومن طيارات الأعداء تحوم فوقهم ليلا ونهاراً . حتى لقد أحصى أحد الصحافيين الأمريكان ٥٣ حفرة تختلف طولا وعرضاً وعمقاً من فعل القنابل بمزرعة واحدة فى مقاطعة (كنت) . وليت الأمر كان مقصوراً على ما ذكرت فمقتضيات الدفاع عن البلاد تطلبت حقولا ممهدة مسطحة لاتخاذها مطارات أو مصائد للدبابات وتطلبت أراضى تصلح للقيام بمناورات للدبابات ومعسكرات تخيم فيها الجيوش أو رجال الحرس الوطنى . وتحصينات تشغل جانباً غير قليل من الأراضى الزراعية . وليس هذا وحده بل ركزت شواخص من حديد متقاربة فى الأراضى الزراعية المسطحة مخافة هبوط طائرات العدو فيها . . .

فأصبح الزارع الإنجليزى ، والحال كما شرحت ، ملزماً أن يحرث ويزرع أرضه ويحصد غلتها بين قنابل تنصب عليه من عال أو تأتيه من الساحل الفرنسى . وهو فى هذا ليس حرا فى أن يزرع ما يشاء من أرض صالحة . فعليه طبقاً لأوامر سنذكر تفصيلها فيما بعد أن يردم الحفر التى خلفتها القنابل ويمهدها ويزرعها ما استطاع وأن يزرع ما بين المطارات أو الخنادق أو الخوازيق . هذا وهو يشكو قلة الأيدى العاملة ونقصاً فى الآلات الزراعية وفقراً فى المخصبات .

وسنرى فى المناظر التى ستعرض الآن كيف أن الزارع الإنجليزى يحرث أرضه الملاصقة للصخور المطلة على مضيق دوفر . وليس إذن بغريب أن يقول ذلك الزارع فى حديثه للصحافى آنف الذكر :

(Sure, we won the battle of this farm. I produced more food here this year than I did before the war. Besides, figure it out. It cost Hitler more to make those 53 bombs and deliver'en over here on my farm than the farm is worth. He can't win that way).

واتجه نظر الحكومة الإنجليزية إلى المتنزهات والحدائق العامة وأراضى الصيد بمزارع النبلاء وملاعب الكرة والجولف وأحواش المدارس وبعض الأراضى المخصصة للمراعى وما إلى ذلك ، فأعملت فيها حرثاً وتمهيداً وزرعتها بالحبوب والبطاطس والخضر وغيرها . ولا عجب أن زادت غلة البلاد وكثر طعامها بعد أن أضيف إلى زمام المزروع منها مثل تلك الأراضى البكر. فمحصول البطاطس مثلا قد تضاعف فى أنحاء البلاد عما كان عليه قبل الحرب بل أصبح يماثل فى كميته محصول الولايات المتحدة جميعها فى حين أن إحدى الولايات فيها وهى ولاية (Texes) تبلغ مساحتها ثلاثة أمثال مساحة إنجلترا . وارتفع متوسط محصول القمح إلى ٣٧ بوشل للفدان ، فى حين أن متوسطه فى الولايات المتحدة لا يتجاوز ٢٠ بوشل . ولا غرابة فى عناية القوم بمحصول القمح وهو الذى قال عنه أحد الكيميائيين العالميين :

(Wheat is a war weapon of hundred shapes)

وقال آخر عنه إنه (Staff of life) أى عكاز الحياة

وهذه الزيادة فى الحاصلات ليست كلها من الزيادة فى مساحة الأرض بل يعود جانب غير يسير منها إلى الإرشاد الفنى والتنظيم مما يتولاه جماعة فى كل مقاطعة تعرف باسم (Farm County Commitee) .

ومهمة هذه اللجنة أن تزور المزارع من حين لآخر لتسدى إرشادات للزراع . فإذا وجدت أحدهم قد أهمل مزرعته سواء أكان فى استصلاحها أو خدمتها أو تسميدها الخ . . أخذتها منه ووضعتها تحت إشرافها الفعلى . ذلك لأن ولاة الأمور هناك رأوا — وبريطانيا تحت ظروف الحرب القاسية — أن أرض الفلاح ليست الآن بالشىء الخاص به وحده . وهذه الأرض يجب ألا تبقى عاطلة أو متكاسلة . . . شأنها شأن ولد أو بنت كل مواطن . . فكما أنه يتعين عليه أن يقدم ولده أو بنته للتجنيد فى الحرب أو العمل فى المصنع — كذلك تجند أرضه خدمة للصالح العام . وعلى ذلك نزعت الحكومة ٥٠ ألف

فدان من أصحابها وأخضعتها لإشرافها المباشر بقصد زيادة غلتها بعد أن دفعت لملاكها الأجر المناسب . ففى مقاطعة (كنت) مثلا قام ستة أعضاء من لجنة المقاطعة بأكثر من ألف زيارة للمزارع التى لم تصل غلتها إلى الحد الأقصى — يسجلون تفصيلات الحالة فى كل مزرعة من حيث معداتها وحاصلاتها وماشيتها ومحتملات الإصلاح فيها . . ومن هذه التقارير يرسمون سياسة خاصة لإدارة كل مزرعة . ووزارة الزراعة فى انجلترا هى التى تعين أعضاء هذه اللجان فى كل مقاطعة. وهم زراع مثقفون محترمون فى بيئاتهم، وهم لا يتقاضون أجراً على خدمتهم . . . وفى سلطتهم أن يأمروا الفلاح بزرع مساحة ما بالقمح مثلا وهذه بالبطاطس وتلك بالخضر . وقد يطلبون منه أن يقلل من ماشية اللحم ويزيد من الألبان وبالعكس وهكذا وفقاً لسياسة عامة ترمى جميعها إلى توفير الغذاء بكميات محددة من قبل ولأغراض خاصة حربية كانت أم مدنية .

ولهذه اللجنة أيضاً أن تعين للزارع الوقت الذى فيه يبيع ماشيته أو خنازيره مثلا وفى أى سوق تباع وبأى ثمن ... وفى معظم الأحيان يتبع الزراع تعليمات اللجان بعد أن أيدت النتائج إرشاداتهم . فإذا رفض تنفيذ الإرشادات فللجنة السلطة فى إدارتها بنفسها أو تحويلها لمستأجر آخر يخضع لتعليماتها . وهذا الإجراء فى الواقع نادر . وإذا أبدى أحد الزراع حاجته لآلة زراعية وأثبت أن فى مقدوره الاستفادة منها أكثر من سواه فإن اللجنة تسهل له شراءها . وكى تستخدم هذه الآلات إلى أقصى طاقتها رأى كثير من لجان المقاطعات امتلاك جرارات وتشغيلها لدى الزراع بطريق الإيجار تحت إشرافهم. فتمتلك أحد اللجان ٥٠٠ جرارة . ولما كانت الحاجة ماسة إلى هذه الجرارات فإن مصانعها فى بريطانيا لم تحول لصنع المعدات الحربية . ومع ذلك فقد وجدت أمريكا أنه أولى لها اقتصادياً وحربياً أن تشحن لحليفتها بريطانيا جرارات بعد أن أيقنت أن كل جرارة تعطى فى انجلترا على الأقل عشرة أمثال وزنها من الطعام . هذا بالرغم من قلة الآلات الزراعية بالنسبة للمساحة الهائلة فيه .

وبهذا اقتصدت أمريكا فراغاً ثميناً فى مراكب الشحن . واليوم يملك الزراع الإنجليز جرارات بنسبة أراضيهم أكثر مما يملكه الزراع الأمريكان أى فداناً بفدان . . .

وهذه اللجان فى المقاطعات لا تجهل أن الإنتاج فى بعض الأراضى السبخة « المهملة » لا يتمشى وما يصرف عليها من جهد ومال لكنها تدرى أيضاً أن هذا الإنتاج ولو قل — مضافاً إليه ما اقتصدوه من فراغ فى المراكب التى كانت تستورد لهم الطعام من الخارج — هذا الإنتاج له أثره وخطره . . والعمل فى هذه الجرارات ليس بالهين تحت الظروف سابقة الذكر . فقد يطلب من الزارع إرسال ولده ليلتحق بطيارة مقاتلة مثلا فلا مناص من أن تحل أخته محله فى إدارة الجرارة وذلك نهاراً . أما فى الليل — لأن العمل متواصل هناك — فإن الوالد يتولى القيادة ليستأنف الحرث أو الزرع أو الحصد فى ظلام دامس طبقاً لمقتضيات الحرب مستعيناً فى عمله بنور ضئيل ينبعث من سراج خاص ينشر نوره إلى أسفل .

أما الولايات المتحدة — وهى بلاد متسعة الرحاب — فقد نزلت بقوتها وضخامتها فى ميدانها الزراعى فانتجت حاصلات وأطعمة لم يعرف لها مثيل من قبل ودعمت إلى حد كبير المجهود الحربى للحلفاء . . ففى عام ١٩٤٣ مثلا أنتج الزراع الأمريكان ٣ بليون بوشل من الذرة . وهذه بالطبيعة لم تستهلك كلها فى غذاء الإنسان بل حولت أيضاً إلى لحوم من بقر وخنزير وجلود ودجاج وبيض ولبن وجبن ونترات نشا (Nitrostarch) لصنع المفرقعات ومئات من أشياء أخرى . والولايات المتحدة تزرع من كل أربعة أفدنة فداناً من الذرة ، ولقد زاد قيمة محصوله فى العام السابق عن محصول القمح والقطن وبزرة القطن والشعير والجودار مجتمعة . . لذلك حصلت على محصول غير عادى من البطاطس فى السنة الماضية . إذ ارتفع محصول الفدان منه إلى ٣٥٥ بوشل فاستعانت فى جمعه بالجنود والأولاء الكشافة ونساء من المدن

ومن أهالى كندا وجاميكا . . وكان متوسط عشر سنوات قبل الحرب للخنازير ٥٢ مليون رأس فبلغ فى يناير سنة ١٩٤٤ — ٩٤ مليوناً : ولا ينتفع من لحم الخنزير للطعام فقط بل يعمل من الجلسرين المأخوذ من دهنه مفرقعات . وكان متوسط ما تضعه الدجاجة من البيض ٨٦ فبلغ ١١١ بيضة سنة ١٩٤٣

أما محصول التفاح الطازج التجارى فقد هبط إلى ٨٨ مليون بوشل بعد أن كان قبل الحرب ١١٣ بوشل وذلك لأن جزءاً كبيراً منه حول إلى خل وجلاتين وزبدة وفاكهة مجففة لأغراض حربية .

وليست الحاصلات المعروفة من حبوب وفاكهة وخضر هى التى تستأثر بعناية الحلفاء وحدها كدعامة قوية من دعامات هذه الحرب — بل هناك نباتات غير متداولة كثيراً هى موضع بحث وتجارب من لدن طائفة العلماء والكيمائيين فى كل من هذه الدول الثلاث . ففى بريطانيا مثلا اكتشفت الكلية الفنية الإمبراطورية أخيراً وبعد تجارب دامت ثلاث سنوات فوائد جديدة لزهور عباد الشمس ، وهو كما نعلم من أجمل زهور الزينة وينمو فى معظم الحدائق . فإذا ما ارتفعت الشمس فى كبد السماء اشرأبت هذه الزهور الكبيرة بأعناقها نحو الضوء بأوراقها الصفراء تتوسطها كتلة دائرية من البذور الدقيقة ذهبية اللون مولية وجهها شطر الشمس أينما تولت خلال النهار فتبدو للعين آية من آيات الطبيعة . فلم يعد القوم الآن يقصرون زرع عباد الشمس على الحدائق بل أفردوا له حقولا واسعة . ذلك لأن بذوره تحتوى على ٣٣½٪ من وزنها زيتاً أصفر حلو المذاق يستخدم فى الطهى وفى صنع السمن الصناعى وما يتبقى من الزهرة بعد ذلك غنى بمادتى السليلوز والبوتاس ويمكن استخدام هذا الباقى أيضاً فى إطعام المواشى والدواجن ، وحتى القشور التى تتبقى بعد ذلك كنفايات تستعمل كوقود لأفران تجفيف البذور ، ولا يزال الإخصائيون يقومون بشتى الأبحاث والتجارب لاكتشاف منافع أخرى له . وسنبين ذلك بوضوح فى الصور التى سنعرضها .

أنشأت الولايات المتحدة أربعة معامل إقليمية مهمتها البحث عن المستحضرات التى يمكن استخراجها من الحاصلات والبقايا الزراعية وقد توصلت هذه المعامل إلى مئات من المخترعات السرية التى تستخدم فى الحرب فمن زغب بزرة القطن يعد البارود الذى لا دخان له ومن زيت بزرة الصويا وبزرة القطن تعد ألياف صناعية بل ألواح يمكن أن تستخدم بدلا من المعادن فى صنع هياكل السيارات وغير ذلك .

أما اشتراك المدنيين من نساء وأطفال فى الميدان الزراعى فهو عبارة عن صحيفة خالدة فى تاريخ هذه الحرب وكان له أثره الكبير فى المجهود الحربى . ففى الولايات المتحدة اشترك هذا العام ١٩٤٤ نحو ١ر٧٠٠ر٠٠٠ بنت فى نوادى 4 H Clubs وشعارها (Head, Heart, Hands and Health) لزرع مساحات أطلقوا عليها اسم (Victory Plots) ليأخذوا منها حاصلات تكفى لإطعام مليون مقاتل . ولم يكتف هؤلاء البنات بهذا المجهود الضخم بل كانوا يجمعون الحديد الخردة ويبيعون سندات الحرب . فلا عجب إذا عناهم الرئيس روزفلت بقوله :

(These organised Junior farmers have set a pattern for good Citizen action)

وفى انجلترا جند نحو ٨٠ ألف فتاة للخدمة فى الحقول وهن من مختلف الأوساط يعملن فى المزارع التى تقل اليد العاملة فيها . وهن معروفات باسم (Women's Land Army) والحكومة تتكفل بتدريبهن وكسائهن على أن أصحاب المزارع يدفعون لهن أجوراً متواضعة ويقدمون لهن السكن . وقد انخرط فى سلك هذا الجيش النسائى بائعات فى المحال التجارية وفتيات بمحلات التجميل وطالبات أو متخرجات فى الكليات . ويعتقد كثير من الزراع الانجليز أن هذا الجيش النسائى خفف إلى حد كبير من أزمة الأيدى العاملة فى الحقول . ومع ذلك فالآلاف من الطالبات فى الكليات يقضين إجازاتهن

السنوية بين الحقول . وقد أتقن العمل بالآلات الزراعية المتنوعة وإصلاحها كما أحسن رعى الماشية وإيواؤها فى حظائر متباعدة — حتى لا تتعرض جميعها لفتك الطائرات — وحلب الأبقار وجمع الفاكهة والخضر والعناية بالفراريج وما إلى ذلك. وتسرح المدارس تلاميذها فى مواسم هامة كما هو الحال فى جمع البطاطس . ولقد زار الصحافى الأمريكى آنف الذكر يوماً مدينة Dandee باسكتلندا أثناء موسم جمع البطاطس فوجد المدارس بها مقفلة وعرف أن سائقى السيارات متطوعون أيضاً فى هذا الشأن إذ يخصص كل واحد منهم يوماً فى الأسبوع لينقل الأولاد من المدينة إلى الريف ومنه إلى المدينة دون مقابل. ومن طريف ما ذكره هذا الصحافى أن ذهب ليحلق ذقنه لدى حلاق فوجد الدكان مقفلا وعليه إعلان هذا نصه :

(Closed. Out picking up potatoes)

ولا ريب أن زوجات الزراع هم فى مقدمة هؤلاء ، فقد قال زارع إن زوجته وقد بنى بها منذ ٤٦ سنة ، خرجت أخيراً لأول مرة تحصد القمح وتربط حزمه بيديها .

ومن ظريف حديثها للصحافى حينما سألها كيف تملكين أعصابك وتنامين والقنابل تهطل من حولك فأجابت :

(Oh, at night when I get ready for bed, I put on my nightgown and turn down my bed and then I kneel down and say my prayers, and then I take a wee sip of whisky. Then I get into bed and pull up the covers and say "To hell with Hitler" and sleep like a top.)

وبهذه المناسبة نذكر أن الحيوانات تختلف فى مدى تحملها لانفجارات القنابل .. فالخيول يصيبها الذعر لذلك قل استعمالها فى الحقول مما أدى إلى زيادة استعمال الجرارات . والأبقار يقل إدرارها للبن أحياناً . أما الأغنام والخنازير فلا تتأثر إلا قليلا ومع انصراف الجميع للعمل — للعمل المتواصل الشاق وتحت

ما ذكرنا من ظروف مضنية — فإنهم يخضعون لنظام دقيق من البطاقات بمقتضاه يطعمون أقل ما يقيم أودهم ويعينهم على مواصلة الكفاح . فليس لأى إنسان — مهما كان غنيا — أن يعطى أكثر من بيضتين كل شهر ولا أكثر من أوقيتين من الزبد كل أسبوع . وهكذا .. حتى الماشية والجرارات خضعت لهذا النظام تقرره الهيئات الزراعية سالفة الذكر (Farm County Committee) فيقدر للبقرة الغذاء المناسب لكمية ما تدره من اللبن . والجرارة يصرف لها البنزين بمقدار ما تقوم به من حرث أو زرع الخ . والزارع ليس حراً فى التصرف فى محاصيله . فهو خاضع للجنة فى جمعها وبيعها ومكان السوق وبالثمن الذى تراه هى .. وإذا ما قررت الحكومة تقليل وتحديد الطعام فإنها لم تنس أن تذيع على السكان قواعد ووصايا للإفادة من تنوع الأطعمة على خير الوجوه مراعاة منها للصحة العامة وأثرها فى المجهود الحربى . والوقت لا يسمح لى بذكر هذه الوصايا على أنه جاء فى مقدمتها ما نصه :

(If every home would follow these simple rules, the health of the nation would be incalcubly improved).

ورغم تحديد مقادير الأغذية فى انجلترا لوحظ أن نسبة الوفيات فى الأطفال قلت عما كانت قبل الحرب وصحتهم تحسنت وذلك نتيجة العناية بموضوع التغذية والأبحاث الخاصة بذلك .

وها هو ذا القمح قد حورت طواحينه كى يحتفظ دقيقه بكل ما فيه من فيتامينات ، تذهب عادة فى النخالة وفى الوقت نفسه يظهر أبيض ناصعاً .

ومما لا غنى عن ذكره وتسجيله بمداد من الفخار أن رجال المدافع المضادة للطيارات والمنتشرين هنا وهناك فى أنحاء البلاد — هؤلاء الرجال لا يبقون عاطلين وخاصة أثناء النهار . فهم يزرعون الأراضى القريبة منهم بالخضر وغيرها تحت إشراف إخصائيين . وفى إحدى الصور التى ستعرض ترون الطيارين وهم يعملون فى الأرض المجاورة لمطاراتهم يعملون بمحراث يجره حصان واحد

فى حين أنهم يقودون قاذفات قنابل من قوة خمسة آلاف حصان . ولا غرابة إذا قال أحدهم لذلك الصحافى :

(Briton fights also in the field. We have won the battle of the farm.)

والجندى الأمريكى لايقل عن حليفه الإنجليزى فى هذا الميدان؛ فقد استصلح ما يزيد عن خمسة آلاف فدان من أراضى الغابات بوادى الكنار بالمحيط الهادى زرعوها بالحبوب والخضر ، وكثيراً ماكان الجنود الزراع يعملون على مرمى المدافع وكان الرجال الذين قاموا بحرث هذه الأرض لأول مرة يضعون بنادقهم على مقربة منهم خشية أن يلاقوا بعض القناصة اليابانيين . . وتعل مزارع ميادين القتال هذه جميع أنواع الخضر التى تزرع فى حدائق المنازل بأمريكا . ويحصد الجنود من تلك التربة البركانية الخصبة أربعة محاصيل فى العام وينتظر أن يربى محصول هذه السنة على ٥٠ ألف طن تزيد قيمتها على ١١ مليون ريال .

وكان الجنود أثناء تنوير أول محصول من القرع والبطيخ يلقحون كل زهرة بأيديهم ؛ إذ ليس فى وادى الكنار نحل يقوم بذلك ، وقد انتهمت الطيور كثيراً من خلايا النحل التى استوردت . واكتشف الجنود عندما بدأت تظهر براعم ثمر البطيخ الذى لم يتم تلقيحه باليد أن النمل المنتشر فى تلك البقاع قد أفاد فى ذلك . ويقوم النمل الآن بعملية التلقيح .

وإذا أشرنا إلى جهود الإنجليز والأمريكان فى الميدان الزراعى فلن ننسى روسيا السوفيتية وما أداه شعبها من عجائب فى هذا الشأن . ولئن كانت المجاعة لم تحدث فى تلك الأقطار الشاسعة فما ذلك إلا بالمعجزة التى أتتها الزراعة الروسية . وكان ذلك مستحيلا لولا الحملة المكتسحة التى جعلت هدفها أن يتعلم كل فلاح أساليب جديدة خيراً من أساليبه . فزارعو الحبوب والقطن وأصحاب الفاكهة والخضر ومربو الماشية والنحالون والعاملات فى مصانع الألبان وغير هؤلاء — يحثون حثاً مستمراً على درس وسائل تحسين أنواع المحاصلات

وزيادة مقاديرها . ولقد ذهب نصف مديرى مزارع روسيا الجماعية إلى الحرب وحل محلهم نساء وفتيات بعضهن لا يزيد عمره عن ١٨ سنة ويعوزهن الخبرة والإدارة خصوصاً إذا علمنا أن معدل مساحة المزرعة الجماعية حوالى ٤ آلاف فدان والمفروض أن يكون مديرها عالماً ومنظما فضلا عن قدرته فى إدارة الأعمال التجارية . ومع ذلك فقد نهضت النسوة والفتيات بثباتهن على أحسن وجه حتى صار الإنتاج الزراعى وما تقدمه أمريكا من مساعدة يمكن الحكومة الوطنية من أن تكفل طعاماً ممتازاً للملايين العديدين من جيوشها وأن تغذى السكان المدنيين بما يكفيهم من القيام بواجباتهم اليومية . ففى سنة ١٩٤٣ كانت المساحة المزروعة فى الروسيا تزيد ٢٠ مليون فدان عما كانت عليه سنة ١٩٤١ وقد فتحت فى جميع أنحاء روسيا مدارس خاصة لرؤساء المزارع الجماعية ولعمال الجرارات وما شاكلها ولعمال منتجات الألبان ولزارعى البساتين والنحالين وغيرهم . وفى هذه المدارس ثلاثة ملايين على الأقل من الفلاحين معظمهم من النساء والفتيات وشعار هؤلاء جميعاً هو شعار كل أهل روسيا جنوداً وعمالا .

(ادرس وتعلم ... تعلم وادرس)

خاتمة

ذلكم أيها السادة استعراض طويل — فاعذرونى إن أنا أسهبت الكلام فى نصيب الزراعة من المجهود الحربى فالزراعة مهنتنا وهى موضع فخارنا ... وفى هذا العرض دروس وفيه عبر والذكرى تنفع العاملين ، هو استعراض لجهود أمم حية حاربت وضحت لتوطيد السلام العالمى ونشر الرخاء فى بقية الشعوب . وما كانت هذه الدول لتتماسك ويصيبها التوفيق لولا أن أقبل المدنيون من أهليها — جاءوا خفافاً سراعاً — زراعها ونساؤها وفتياتها وأطفالها — جاءوا يمدون الكماة فى ميدان القتال بالمؤونة والطعام . هم شقوا

الأرض فى الميـدان الزراعى بقوة قلوبهم قبل أن ينجوها بأسلحتهم وآلاتهم فاهتزت الحقول من تحت أقدامهم وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . فحق لأولئك المجاهدين والمجاهدات من زراع ونساء وفتيات وأطفال أن يتقاسموا الفخر والمجد مع أولئك الأبطال فى ميادين القتال .

أجل ... هى شعوب لم تناضل إلا لأنها مرنت على الكفاح والجلاد من طراوة العمر . سلمت أيديها طواعية لقيود فرضت عليها من حكوماتها ... قبلت تدخلا فى حرية الزرع وتدخلا فى حرية البيع وقنعت بالضئيل من الطعام والشراب ... سلمت أعناقها لأطواق قاسية من البطاقات ... قبلت كل ذلك راضية شاكرة لأنها تعلم أن الخير الاجتماعى وحرية الفرد لا يتعارضان ... شعوب واجهت الحقائق دون خشية أو رهبة ولو كانت قاتمة مرة وما حولها تغشاه ظلمات فوق ظلمات . شعوب لا تعرف الفشل ولا تسلم سلاحها — تؤمن بالكفاح والنضال حتى نهاية الشوط وحتى النفس الأخير .